بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

خُطْبَةُ الْجُمُعَةِ

الْعَدْلُ: طَرِيقُ السَّلَامِ الْحَقِيقِيِّ

٣١ يوليو ٢٠٢٦

اَلْخُطْبَةُ الْمَسْنُونَةُ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾

إِنَّ قُوَى الشَّرِّ فِي الْعَالَمِ لَا تَزَالُ- كَمَا تَعْلَمُونَ- مَاضِيَةً فِي احْتِلَالِ الْأَرْضِ وَالْأَوْطَانِ، وَاغْتِصَابِ الْحُقُوقِ وَالْمُمْتَلَكَاتِ، وَالِاسْتِخْفَافِ بِحَيَاةِ الْأَبْرِيَاءِ الْمَظْلُومِينَ الضُّعَفَاءِ، وَالْعَمَلِ الدَّائِبِ عَلَى إِثَارَةِ الْخِصَامِ بَيْنَ الْأَشِقَّاءِ.

وَإِنَّ قُوَى الشَّرِّ هَذِهِ لَتَتَّخِذُ، وَهِيَ مَاضِيَةٌ فِي هَذَا السَّبِيلِ، لَتَتَّخِذُ مِنْ كَلِمَاتِ السَّلَامِ وَالْهُتَافِ بِهَا وَالدَّعْوَةِ إِلَيْهَا مُخَدِّراً يَخْدَعُ الْعُقُولَ عَنِ الْهَدَفِ الْمَرْسُومِ وَيُغَيِّبُ الْأَلْبَابَ عَنِ الْكَمِينِ الْمَرْصُودِ؛ فِي حِينِ أَنَّ السَّلَامَ الْحَقِيقِيَّ هُوَ مَهْوَى قُلُوبِ الْأُسْرَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ جَمْعَاءَ.

فَمَا هُوَ الْعَاصِمُ مِنْ هَذَا الْخِدَاعِ؟ وَمَا هُوَ السَّبِيلُ لِلتَّحَرُّرِ مِنْ هَذَا الْكَمِينِ الَّذِي يُرَادُ لَنَا مِنْ خِلَالِ الْهُتَافِ بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ الْقُدْسِيَّةِ الْمُتَأَلِّقَةِ، كَلِمَةِ السَّلَامِ؟ الْعَاصِمُ- يَا عِبَادَ اللَّهِ- هُوَ مَا أَمَرَنَا بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَمَا سَأَلَهُ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَقَدْ حَدَّثَهُ عَنِ الْفِتَنِ الَّتِي سَتَسْتَشْرِي مِنْ بَعْدُ، قَالَ لَهُ:

الرِّوَايَةُ — الرَّاوِي: عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

مَا الْعَاصِمُ مِنْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: كِتَابُ اللَّهِ، فِيهِ نَبَأُ مَنْ قَبْلَكُمْ، وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ، وَهُوَ الْحُكْمُ فِيمَا بَيْنَكُمْ . . .

إِلَى آخِرِ مَا ذَكَرَهُ الْمُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ. فَلْنَعُدْ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِنَجِدَ فِيهِ السَّبِيلَ الَّذِي يُحَرِّرُنَا مِنْ وَطْأَةِ هَذَا الْخِدَاعِ، وَالَّذِي يَجْعَلُنَا نَتَبَصَّرُ مَوَاطِئَ أَقْدَامِنَا وَنَحْنُ نَسِيرُ فِعْلاً إِلَى حَقِيقَةِ السَّلَامِ، بَلْ وَنَحْنُ نَدْعُو الْعَالَمَ كُلَّهُ إِلَى السَّلَامِ.

عِبَادَ اللَّهِ: رَبُّنَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى دَعَا الْأُسْرَةَ الْإِنْسَانِيَّةَ كُلَّهَا، مِنْ خِلَالِ خِطَابِهِ لِلْمُؤْمِنِينَ، إِلَى السَّلَامِ الْعَامِّ الشَّامِلِ فَقَالَ:

سورة البقرة — آية ٢٠٨

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾

وَلَكِنَّهُ لَفَتَ النَّظَرَ إِلَى الطَّرِيقِ الْمُؤَدِّي إِلَى السَّلَامِ. دَعَا إِلَى السَّلَامِ ثُمَّ إِنَّهُ لَفَتَ إِلَى الطَّرِيقِ الْمُؤَدِّي إِلَى السَّلَامِ وَرَكَّزَ عَلَى ذَلِكَ أَيَّمَا تَرْكِيزٍ، وَتَفَنَّنَ الْبَيَانُ الْإِلَهِيُّ فِي ذَلِكَ فَقَالَ أَوَّلاً، وَكَأَنَّهُ يُجِيبُ عِبَادَهُ عَنْ سُؤَالٍ يَقْفِزُ إِلَى أَذْهَانِهِمْ قَائِلاً: فَكَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى أَنْ نَتَفَيَّأَ ظِلَالَ السَّلَامِ؟ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مُجِيباً:

سورة المائدة — آية ١٦

﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ، يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾

مَا هُوَ الطَّرِيقُ بَلْ مَا هُوَ النُّورُ الَّذِي ذَكَرَهُ بَيَانُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الَّذِي إِنِ اتَّبَعْنَاهُ أَوْصَلَنَا إِلَى وَاحَةِ السَّلَامِ؟ **هُوَ الْعَدْلُ** يَا عِبَادَ اللَّهِ.

وَلِذَلِكَ فَقَدْ فَسَّرَ الْبَيَانُ الْإِلَهِيُّ هَذَا الْكَلَامَ الرَّبَّانِيَّ عِنْدَمَا قَالَ:

سورة المائدة — آية ١٦

﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ، يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾

فَسَّرَ هَذَا النُّورَ: بِالْعَدْلِ، وَرَكَّزَ الْبَيَانُ الْإِلَهِيُّ عَلَى الْعَدْلِ أَيَّمَا تَرْكِيزٍ، وَتَفَنَّنَ الْبَيَانُ الْإِلَهِيُّ وَصَرَّفَ فِي الْحَدِيثِ عَنِ الْعَدْلِ وَالدَّعْوَةِ إِلَيْهِ، قَالَ جَلَّ جَلَالُهُ:

سورة النساء — آية ٥٨

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ﴾

ثُمَّ عَادَ فَقَالَ:

سورة النحل — آية ٩٠

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾

ثُمَّ أَكَّدَ هَذَا فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ:

سورة المائدة — آية ٨

﴿وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا﴾

أَيْ، لَا يَحْمِلَنَّكُمْ بُغْضُكُمْ لِأَعْدَاءٍ لَكُمْ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا:

سورة المائدة — آية ٨

﴿وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾

وَقَالَ جَلَّ جَلَالُهُ:

سورة الرحمٰن — آية ٧

﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾

وَالْمِيزَانُ هُوَ: الْعَدْلُ يَا عِبَادَ اللَّهِ. وَانْظُرُوا كَيْفَ كَرَّرَ الدَّعْوَةَ إِلَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ وَبَيَّنَ قُدْسِيَّتَهَا مِنْ خِلَالِ هَذَا الْإِطَارِ الْفَنِّيِّ الَّذِي خَاطَبَنَا بِهِ:

سورة الرحمٰن — آية ٩

﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ، أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ، وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾

وَكَأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ لَنَا مُنَبِّهاً أَنْ لَا نُخْدَعَ بِمَنْ يُحَاوِلُونَ أَنْ يَجْعَلُوا مِنْ كَلِمَةِ (السَّلَامِ) جُرَعَاتٍ مُخَدِّرَةً بَيْنَ يَدَيْ عَمَلِيَّاتِهِمِ الْإِجْرَامِيَّةِ وَالِانْتِقَامِيَّةِ؛ وَهُوَ يُخَاطِبُهُمْ هُمْ أَيْضاً فِي الْوَقْتِ ذَاتِهِ قَائِلاً: إِنَّ مَنْ كَانَ مُتَمَسِّكاً بِالسَّلَامِ حَقّاً وَدَاعِياً إِلَيْهِ حَقّاً يَنْبَغِي أَنْ يَتَلَمَّسَ الطَّرِيقَ إِلَيْهِ، يَنْبَغِي أَنْ يَسْلُكَ السَّبِيلَ الْمُوصِلَ إِلَيْهِ، وَمَا يَنْبَغِي أَنْ يَتَخَيَّلَ أَنَّ بِوُسْعِهِ أَنْ يَقْفِزَ إِلَى السَّلَامِ قَفْزاً فَوْقَ حُطَامِ الْمَظْلُومِينَ، وَفَوْقَ أَعْمَالِ الْفَسَادِ الْمُسْتَشْرِيَةِ فِي جَنَبَاتِ الْأَرْضِ.

بَيَانُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُخَاطِبُنَا وَيُخَاطِبُ الْآخَرِينَ جَمِيعاً وَكَأَنَّهُ: يَقُولُ لَئِنْ كَانَ السَّلَامُ حَقِيقَةً تَكْمُنُ فِي بُرْجٍ بَاسِقٍ، فَإِنَّ السُّلَّمَ الَّذِي يُرْقَى إِلَيْهِ إِنَّمَا هُوَ الْعَدْلُ، وَلَئِنْ كَانَ السَّلَامُ وَاحَةً خَضْرَاءَ مُمْرِعَةً تَزْدَانُ بِأَنْوَاعِ النَّعِيمِ، فَإِنَّ الْبَوَّابَةَ الْمُوصِلَةَ إِلَى هَذِهِ الْوَاحَةِ إِنَّمَا هُوَ الْعَدْلُ، وَلَئِنْ كَانَ السَّلَامُ كَنْزاً مَخْبُوءاً فِي صُنْدُوقٍ مُقْفَلٍ، فَإِنَّ مِفْتَاحَ هَذَا الصُّنْدُوقِ إِنَّمَا هُوَ الْعَدْلُ، هَكَذَا يُعَلِّمُنَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وَعُودُوا إِلَى كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ- يَا عِبَادَ اللَّهِ- كَمَا أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ وَأَوْصَى، تَجِدُونَ شَيْئاً عَجَباً فِي بَابِ الْعَدْلِ هَذَا الَّذِي هُوَ السَّبِيلُ الْأَوْحَدُ إِلَى السَّلَامِ الْحَقِيقِيِّ الَّذِي هُوَ مَهْوَى قُلُوبِ النَّاسِ جَمِيعاً. هُنَالِكَ عَدْلٌ خَاطَبَ بِهِ الْإِنْسَانَ الْفَرْدَ رَبُّنَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، هُوَ عَدْلُ الْإِنْسَانِ مَعَ نَفْسِهِ. وَهُنَالِكَ عَدْلٌ آخَرُ خَاطَبَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِهِ الْأُسْرَةَ، هُوَ عَدْلُ أَفْرَادِ الْأُسْرَةِ بَعْضِهَا تُجَاهَ بَعْضٍ. وَهُنَالِكَ عَدْلٌ ثَالِثٌ ذُو دَائِرَةٍ أَوْسَعَ وَأَشْمَلَ، إِنَّهُ عَدْلُ الْأُسْرَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ جَمْعَاءَ.

عِنْدَمَا يُخَاطِبُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الْإِنْسَانَ الْفَرْدَ وَيَنْهَاهُ عَنْ أَنْ يَظْلِمَ نَفْسَهُ فَمَعْنَى ذَلِكَ، أَنَّهُ يَدْعُوهُ إِلَى أَنْ يَكُونَ عَادِلاً مَعَ ذَاتِهِ، لِأَنَّهُ إِنْ عَدَلَ مَعَ نَفْسِهِ ابْتَعَدَ عَنِ التَّعَرُّضِ لِلظُّلْمِ وَأَسْبَابِهِ، وَلَكِنَّهُ إِنْ جَنَحَ عَنْ طَرِيقِ الْعَدْلِ لَا بُدَّ أَنْ يَقَعَ فِي الظُّلْمِ وَيَكُونَ هُوَ الَّذِي ظَلَمَ نَفْسَهُ. انْظُرُوا إِلَى قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ:

سورة الأعراف — آية ١٧٧

﴿سَاءَ مَثَلاً الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾

سورة النحل — آية ٢٨

﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾

هَذَا الْبَيَانُ الْإِلَهِيُّ الْمُكَرَّرُ يُنَبِّهُ الْفَرْدَ إِلَى أَنَّهُ أَمَامَ طَرِيقَيْنِ لَا ثَالِثَ لَهُمَا، إِمَّا طَرِيقُ الْعَدْلِ، أَنْ يَعْدِلَ مَعَ نَفْسِهِ. كَيْفَ يَعْدِلُ الْإِنْسَانُ مَعَ نَفْسِهِ؟ بِأَنْ يُؤْمِنَ بِالْحَقِّ وَيَتَّبِعَهُ، وَأَنْ يَبْتَعِدَ عَنِ الْبَاطِلِ وَلَا يُغَامِرَ فِي السُّلُوكِ إِلَيْهِ عَبْرَ السُّبُلِ الْمُتَعَرِّجَةِ، إِذَنْ فَقَدْ عَدَلَ مَعَ نَفْسِهِ وَعِنْدَئِذٍ يَبْتَعِدُ عَنِ الْوُقُوعِ فِي الظُّلْمِ. أَمَّا إِنْ أَعْرَضَ عَنْ هَذِهِ الْوَصِيَّةِ فَلَا شَكَّ أَنَّهُ يَكُونُ قَدْ حَكَمَ عَلَى نَفْسِهِ بِالظُّلْمِ:

سورة النحل — آية ١١٨

﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾

أَيْ لِأَنْفُسِهِمْ. هَذَا هُوَ الْمُسْتَوَى الْأَوَّلُ الْأَدَقُّ مِنْ مُسْتَوَيَاتِ الْعَدْلِ. الْمُسْتَوَى الَّذِي يَلِيهِ: الْعَدْلُ بِالنِّسْبَةِ لِلْأُسْرَةِ،

سورة النساء — آية ١٣٥

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ فَقِيراً فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا﴾

هَذَا خِطَابُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِنْ يُخَاطِبُ أَفْرَادَ الْأُسْرَةِ وَيَطْلُبُ مِنْهُمْ أَنْ يَكُونُوا عَادِلِينَ، كُلٌّ فِي حَقِّ نَفْسِهِ وَحَقِّ صَاحِبِهِ. يَلِي ذَلِكَ، الْعَدْلُ الشَّامِلُ الْعَامُّ الَّذِي يُخَاطِبُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِهِ الْأُسْرَةَ الْإِنْسَانِيَّةَ:

سورة النساء — آية ٥٨

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾

اللهم اجعل أعمالنا خالصة لوجهك الكريم، ولا تجعل لأحد فيها شيئاً. اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولجميع المؤمنين والمؤمنات. آمين.